حرف القاف

لو سابقتني المنايا

قال في وقعة كانت بينهم وبين بني زبيد:

[البسيط]

لَـقَـدْ وَجَـدْنـا زَبـيـداً غَـيـرَ صَـابـرَةٍ،
يـومَ الـتَـقَـيْـنـا وَخَـيْـلُ الـمـوْتِ تَـسـتَـبـقُ[١]
إذا أدْبَـرُوا فَـعَـمِـلْـنـا فـي ظُـهُـورِهِـمُ
مـا تَـعْـمَـلُ الـنّارُ فـي الـحَـلْـفـا فـتـحـتـرِقُ[٢]
وَخـالـدٌ قـد تَـرَكْـتُ الـطّـيـرَ عـاكِـفَـةً
عَـلـى دِمـاهُ وَمـا فـي جِـسْـمِـهِ رَمَـقُ[٣]

(١) يذكر الشاعر اختباراً لبني زبيد فتبيّن له أن تلك القبيلة لا تحتمل ولا تصبر على مقارعة الأعداء، فإذا بها تقع لقمة سائغة في حلق بني عبس يوم الوقعة التي كانت بينهما، والأموات يتدافعون بخيولهم لأقدارهم.

(٢)، (٣) الحلفا، ضرب من النبات أطراف أوراقه كسعف النخل. مقاتلو بني زبيد راحوا يفرّون منهزمين ممّا سمح لبني عبس ملاحقتهم وقتلهم كما تدبّ النيران في نبت الحلفاء فلا تبقي على أثر منه، وما فعله الشاعر أنه فتك بخالد قائدهم فأرداه قتيلاً، والطير تمزّق جسده، وقد انعدمت فيه الحياة وفاضت روحه.

خُلِقْتُ لِلحَرْبِ أحْمِيها إذا بَرَدتْ
وَأصْطَلي بلظاها حيثُ أحْتَرِقُ[١]

وَألْتَقي الطّعنَ تحتَ النَّقْعِ مُبتَسماً
وَالخَيْلُ عابسَةٌ قَدْ بَلّها العَرَقُ[٢]

لَوْ سابَقَتْني المَنايا وَهْيَ طالِبَةٌ
قَبْضَ النّفُوسِ أتاني قبلها السَّبَقُ[٣]

وَلي جَوَادٌ لدى الهَيْجاءِ ذو شَغَبٍ
يُسابقُ الطّيرَ حتى لَيسَ يُلْتَحَقُ[٤]

وَلي حُسَامٌ إذا ما سُلّ في رَهَجٍ
يَشُقّ هامَ الأعادي حينَ يُمْتَشَقُ[٥]

أنا الهِزَبْرُ إذا خَيْلُ العِدا طَلَعَتْ
يَوْمَ الوَغى وَدِماءُ الشُّوسِ تَندفق[٦]

---

(١)، (٢) يفخر الشاعر بأفعاله؛ لقد خلق أخاً الحرب، يعمل على إشعالها حيثما حلّ، وإن بردت، فهو يندفع نحوها فلهيبها يبث بنفسه الحياة فيشعر بأنه حيّ دائماً حيث يتلقّى الطعن وتعلو ثغره بسمة الانتصار والفرحة بما حقّقه مع الأعداء، في جوّ كهذا تصول الخيول، وفرسانها عابسون، وقد غطّى العرق الفرسان وخيولهم.

(٣)، (٤) إنه سباق الموت، الموت يطلب الشاعر والأخطار تلاحقه، فإذا به يسارع فيسبق المنية وينتصر على عدوّه فيكون من الهالكين. والفضل يعود إلى جواده، فهو أيضاً في سباق، ولكن لا يُلحق غباره ساعة المباراة في سباق الشرّ، وما يحمل من علاماته.

(٥) سُل السيف: جُرّد من غمده. الرهج: الأغبرة التي تثور أثناء المعركة. يمتشق: يُجرّد كذلك. من دواعي النصر أن السيف الذي يجرّده الشاعر لا يخذل صاحبه في شدّة المعركة، فإذا به يفصل رؤوس أعدائه عن أجسادهم.

(٦) الهزبر: الأسد الجسور. الشوس، المفرد أشوس: وهو من ينظر بمؤخّر =

مـا عَـبّـسـتْ حَـوْمـةُ الـهَـيْـجـاءِ وَجـهَ فـتًـى
إلا وَوَجْـهـي إلَـيْـهَـا بـاسِـمٌ طَـلِـقُ[١]
مـا سـابَـقَ الـنّـاسُ يـوْمَ الـفـضْـلِ مـكـرُمـةً
إلا بَـدَرْتُ إلَـيْـهَـا حَـيْـثُ تُـسْـتَـبـقُ[٢]

بحر من رجال

قال وهو في سجن المنذر بن ماء السماء عندما خرج إليه في طلب النوق العصافيرية مهر عبلة:

[الوافر]

تُـرَى عَـلِـمَـتْ عُـبَـيْـلَـةُ مـا أُلاقـي
مِـنَ الأهْـوَالِ فـي أرْضِ الـعِـرَاقِ[٣]؟
طَـغَـانـي بـالـرِّيـا وَالـمَـكْـرِ عَـمّـي،
وَجـارَ عَـلـيّ فـي طَـلَـبِ الـصَّـدَاقِ[٤]

= عينه تكبّراً. يفخر الشاعر بأنه الأسد في جبروته وتيهه واعتزازه وفتكه، وذلك في حال التقت الخيل بالخيل في المعركة، حينئذٍ تظهر حقيقة مدّعي الفروسية؛ فهم يتكبّرون ويتجبّرون ولكن بلا نتيجة لأنهم سيكونون من ضحايا الشاعر، يتركهم صرعى وقد غطّتهم الدماء.

(١) وجهان على نقيض أثناء المعركة، وجه مهزوم كالح عابس، يملأه الخوف ويستولي عليه الرعب، ووجه باسم واثق بالنصر والغنيمة.

(٢) ومن صفات الشاعر الكرم الفيّاض، والسباق هنا سباق الكرماء طيّبي النفوس، والشاعر أفضلهم، فهو يبادر إلى المكرمات فيسبق ويبذل المعونة لمستحقّيها قبل التفوّه بطلب ما يحتاجون.

(٣)، (٤) يتساءل الشاعر هل تعلم عبلة ما يلاقيه من الأخطار والأهوال في =